العرب
الأحد 2019/10/20
السنة 42 العدد 11503

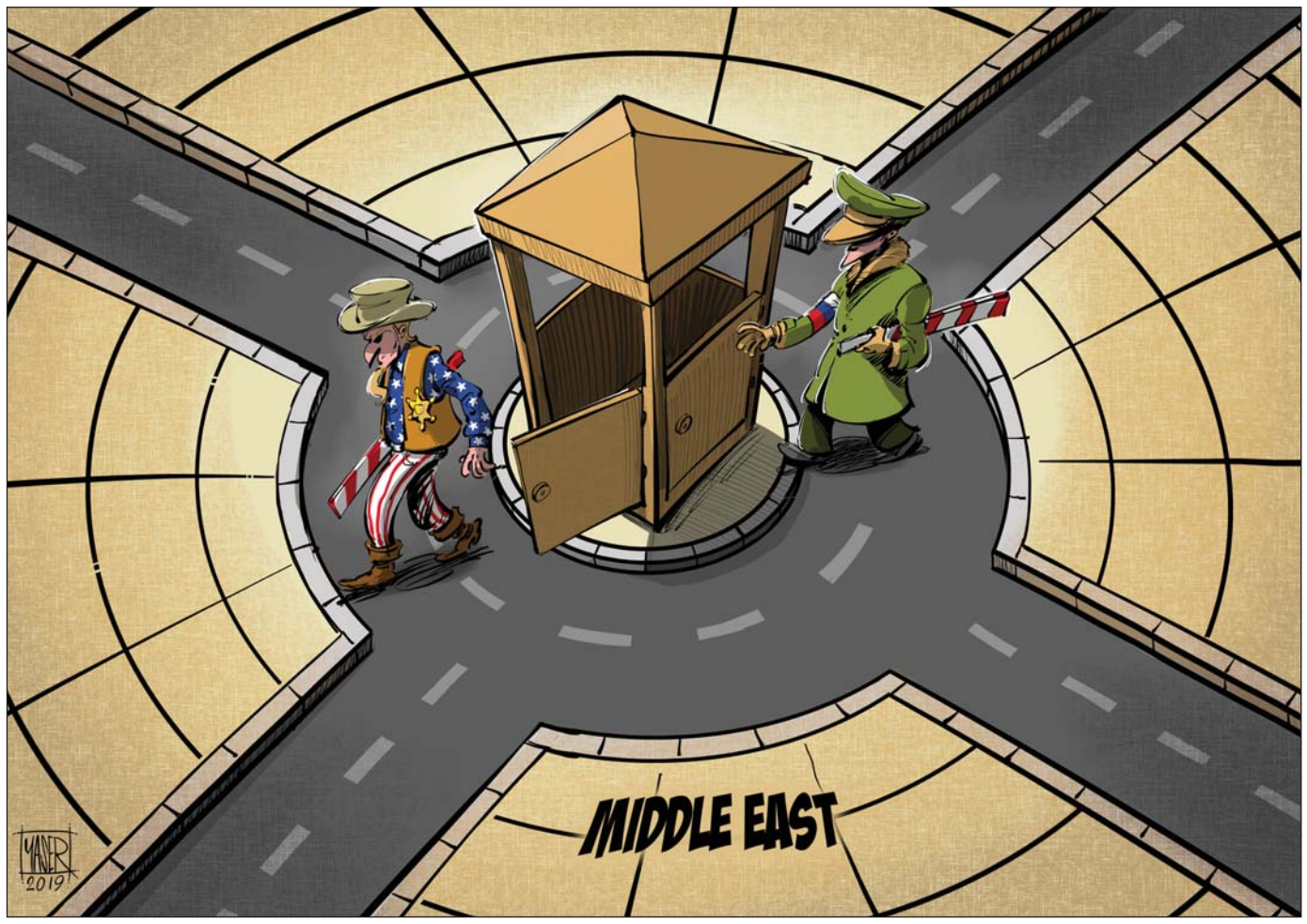

ترامب نسخة شقراء عن أوباما

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

بقي الكلام الأميركي الكبير في التعاطي مع تركيا مجرّد كلام. أظهرت إدارة دونالد ترامب مرّة أخرى، بعد خيانتها الأكراد، أنّها من النوع الذي لا يمكن الاعتماد عليه. وهذا ما جعل بعض العرب يعتمد الحذر في التعاطي معها.

جاءت زيارة نائب الرئيس الأميركي مايك بنس لتركيا برفقة وزير الخارجية مايك بومبيو لتؤكد أن لإدارة ترامب حسابات خاصة بها تجعلها تتخلى عن حلفائها في حال دعت الحاجة إلى ذلك، على الرغم من كلّ التضحيات التي يمكن أن يقدّموها. تبيّن أن الولايات المتحدة ليست مستعدّة للتضحية بعلاقتها بتركيا من أجل حفنة من الأكراد في سوريا. أثبتت مرّة أخرى حجم لا أخلاقيتها عندما يتعلّق الأمر بمجموعة وقفت إلى جانبها في الحرب على الإرهاب وعلى "داعش" على وجه الخصوص. اكتفى دونالد ترامب في تبريره للتخلي عن الأكراد بقوله إنّهم "ليسوا ملائكة". هذا صحيح ولكن لماذا اكتشف ذلك بعد كلّ هذه السنوات من التعاون معهم؟

ظهر، مع مرور الوقت، أنّ دونالد ترامب لا يختلف كثيرا عن باراك أوباما، عندما يتعلّق الأمر بالمبادئ الكبرى، مثل حريّة الشعوب. الدليل على ذلك واضح كلّ الوضوح. ما الذي يختلف فيه ترامب عن أوباما عندما يتعلّق الأمر بالشعب السوري الذي انتفض على نظام أقلّوي لا يؤمن سوى بنهج واحد هو إلغاء الآخر؟ لم يفعل ترامب شيئا للسوريين الباحثين منذ العام 2011 عن نوع من كرامة. على العكس من ذلك، عمل كلّ ما يستطيع عمله من أجل بقاء النظام في دمشق وتمكينه من متابعة حربه على شعبه بواسطة إيران والروس في الوقت ذاته. لدى إيران ميليشياتها المذهبية التي تقاتل السوريين ولدى روسيا سلاح الجوّ وقوات على الأرض تتولّى مهمات لا يستطيع غيرها توليها من نوع الفصل بين الأكراد والأتراك في مناطق سورية معيّنة وعندما تدعو الحاجة.

ما الذي فعله ترامب من خلال بنس وبومبيو اللذين التقيا الرئيس التركي رجب طيب أردوغان؟ استسلم عمليا للرغبات التركية من جهة وسلّم الملف السوري بكامله إلى روسيا من جهة أخرى. عمليا، صارت تركيا في سوريا وستسيطر على منطقة بعمق ثلاثين كيلومترا بموافقة أميركية. هذا هو الواقع الجديد في سوريا. في حال قبول الأتراك بعودة الجيش التابع للنظام إلى مواقع على الحدود الرسمية بين البلدين، ستكون هذه العودة ذات طابع شكلي لا أكثر. ما حصل هو أن تركيا ستقيم "منطقة آمنة" في العمق السوري. سترسل إلى هذه المنطقة مواطنين سوريين لجأوا إلى أراضيها. لن يريح ذلك تركيا فحسب، بل سيريح أيضا الأوروبيين الذين كانوا في العمق مع العملية العسكرية التركية في الشمال السوري ورفعوا صوتهم معترضين عليها من باب رفع العتب ليس إلّا. هناك في نهاية المطاف رغبة أوروبية في تفادي تدفّق لاجئين سوريين على دول القارة، خصوصا ألمانيا.

جاءت العنتريات التركية لترامب، بما في ذلك الرسالة العجيبة الغريبة التي وجهها إلى إردوغان، لتتوج سلسلة من التصرفات التي لا تنمّ سوى عن رغبة في تقليد باراك أوباما وإنْ بطريقة غير مهذّبة.

بدأت علامات الاستفهام في شأن جدّية إدارة ترامب تطفو منذ التدخل الأميركي، بناء على طلب بريطاني، لمنع استعادة الحديدة من الحوثيين في أيّار – مايو 2018. معروف أن بريطانيا مهتمّة بالمحافظة على الحوثيين لأسباب خاصة بها في مقدّمها مستقبل ميناء الحديدة على البحر الأحمر. لكنّ الطفل يعرف أن لا فائدة من التفاوض مع الحوثيين عبر الوسيط الدولي مارتن غريفيث أو من دونه في غياب انتصار عسكري في حجم استعادة الحديدة. لم يظهر في أيّ وقت اهتمام أميركي جدّي في اليمن وفي الدور الإيراني الذي لا يستهدف سوى السيطرة على قسم من هذا البلد وتحويله إلى قاعدة تهدّد أمن كلّ دولة من دول الخليج العربي، في مقدّمها المملكة العربية السعودية.

لم يحدث أي تطور يشير إلى رغبة أميركية في ترجمة الكلام الجميل إلى أفعال، لا بعد إسقاط إيران طائرة من دون طيّار فوق مضيق هرمز ولا بعد الاعتداء الإيراني على منشآت نفطية سعودية تابعة لشركة "أرامكو"، ولا قبل ذلك، لدى حصول الاعتداء الإيراني المموّه جيدا على ناقلات للنفط قبالة ميناء الفجيرة الإماراتي.

هناك ما يدعو إلى القلق بسبب التصرّفات الأميركية، خصوصا بعدما أبعد ترامب جون بولتون من موقع مستشار الأمن القومي. كان بولتون شخصا واضحا يعرف الكثير عن إيران وتصرفاتها وسلوكها العام. إن دلّ التخلّص من بولتون على شيء، فهو يدلّ على رغبة في مهادنة إيران والسعي إلى إيجاد تسوية معها وذلك على الرغم من تمزيق الرئيس الأميركي للاتفاق في شأن الملف النووي معها.

> بكلام أوضح، وعد دونالد ترامب بالكثير ولم يقدّم سوى القليل. لم يكن في نهاية المطاف سوى نسخة أخرى عن باراك أوباما الذي اختزل كلّ مشاكل الشرق الأوسط والخليج بالملفّ النووي الإيراني

لا يمكن تجاهل أنّ العقوبات الأميركية على إيران أثرت عليها كثيرا، بل تكاد تخنق اقتصادها. لكنّ ما لا يمكن تجاهله أيضا أنّ هذه العقوبات لم تؤد بعد إلى كبح المشروع التوسّعي للملالي الذين يديرون شؤون "الجمهورية الإسلامية"، وهو مشروع يقوم على الاستثمار في إثارة الغرائز المذهبية في كلّ المنطقة العربية من أجل تمزيقها.

الخوف كلّ الخوف من استمرار حال الفوضى التي تسود واشنطن حيث يبني المقيم في البيت الأبيض كلّ مجده على أنّه معترض على كلّ ما قام به سلفه، فإذا به نسخة أخرى عن باراك أوباما ولكن بشعر أشقر وخطاب سياسي أقلّ ما يمكن أن يوصف به أنّ لا علاقة له بالدبلوماسية من قريب أو بعيد.

من حق كلّ من يتعاطى مع دونالد ترامب التزام جانب الحذر. وعد بالتصدي لإيران بعدما تلا خطابا يصف بدقة ليس بعدها دقّة سياستها العدوانية ليس تجاه الدول العربية فحسب، بل تجاه الولايات المتحدة أيضا. اكتفى بالعقوبات وانصرف إلى الإعداد باكرا للعودة إلى البيت الأبيض بعد انتخابات تشرين الثاني – نوفمبر 2020.

هل تكون المنطقة كلّها، وليس أكراد سوريا وحدهم، ضحيّة الحملة الانتخابية لترامب التي تقوم على تفادي أي صدام عسكري مع أيّ أحد في أي منطقة من العالم؟ بكلام أوضح، وعد دونالد ترامب بالكثير ولم يقدّم سوى القليل. لم يكن في نهاية المطاف سوى نسخة أخرى عن باراك أوباما الذي اختزل كلّ مشاكل الشرق الأوسط والخليج بالملفّ النووي الإيراني. لماذا لا يقول دونالد ترامب صراحة إنّ أميركا قرّرت مغادرة الشرق الأوسط والخليج، على غرار ما فعلته بريطانيا أواخر ستينات القرن الماضي؟ لماذا لا يقول إنّ المنطقة كلّها لم تعد تهمّه وأن على كلّ دولة من دول المنطقة أن تدبّر أمورها بنفسها؟

قواعد جديدة للّعبة السورية

رانيا مصطفى

أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب، في 6 أكتوبر الجاري، ومجددا، الانسحاب من سوريا، وطلب من البنتاغون ترتيب الانسحاب ووضع خطة زمنية له. القرار جدي، وبُدئ بالفعل بسحب الـ1000 جندي أميركي من شمال شرق سوريا، مع الإبقاء على الحماية الجوية للتحالف الدولي شرق الفرات، فيما سيتم الإبقاء على 400–500 جندي في قاعدة التنف على الزاوية الحدودية السورية العراقية الأردنية، للحدّ من توغل إيران في سوريا.

قرار الانسحاب هذا ليس جديدا، بل اتّخذه الرئيس نهاية العام الماضي، وتمّت فرملته من قبل إدارته، لعدم واقعية توقيته؛ كما أن الانسحاب الأميركي يأتي ضمن إستراتيجية أميركية عامة، اتُخذت في زمن أوباما، بضرورة الانسحاب من الشرق الأوسط والانكفاء أكثر باتجاه القضايا الداخلية.

كالعادة، اتخذ ترامب قراره بشكل مفاجئ، دون التشاور مع إدارته ومستشاريه، ودون إخبار حلفائه الأكراد في المنطقة، ما أطلق سيلا من التحذيرات والتحليلات حول عبثية القرار، وإمكانية عودة تنظيم داعش، وأنه تسليم مجاني للمنطقة إلى روسيا وإيران، وإلى نظام الأسد المعاقب من قبل الإدارة الأميركية نفسها، وأنه سيفقد المنطقة استقرارها الذي تم بعد القضاء على تنظيم داعش بواسطة قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، عبر السماح بحرب دامية بين الأتراك وحلفائهم السوريين، وبين قوات سوريا الديمقراطية.

طريقة ترامب في اتخاذ القرار دون ترتيب كاف، هي للهروب من أزمته الداخلية الخانقة، فقد بات مهددا بالعزل أكثر من ذي قبل، بسبب فتح ملف أوكرانيا، والكشف عن مضمون الرسائل التي تدينه بمحاولة فتح تحقيق يتعلق بابن منافسه جو بايدن، في وقت يسعى فيه جو بايدن إلى الترشح عن الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية القادمة. هذا فضلا عن ملف التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية الأميركية 2016، والذي لم يغلق إلى حدّ الآن.

ولئن كان أسلوب القرار مفاجئاً في توقيته، فقد كان متوقعاً من الروس والنظام من جهة، ومن الأتراك من جهة أخرى، حيث بدت كل الأطراف مستعدة للتحرك فور تنفيذ القرار؛ إذ أحدث الانسحاب الأميركي فوضى في المنطقة، بحيث اختلط الحابل بالنابل مع بدء العملية العسكرية التركية على المناطق الحدودية، وتوغل الجيش التركي برفقة فصائل سورية معارضة للنظام وتابعة له، وتدخل روسيا، وانتشار جيش النظام لملء الفراغ، وفي محيط المناطق التي استولت عليها تركيا والمعارضة، وسعت روسيا إلى وساطة بين النظام وقوات سوريا الديمقراطية، للتنسيق من أجل تسليم المناطق الحدودية إلى جيش النظام، وأن تكون له سيطرة رمزية على الحدود، فيما أرادت موسكو أيضاً تسيير دوريات لها ضامنة على الحدود، للفصل بين القوات التركية ووحدات الحماية الكردية.

وكذلك سعت موسكو إلى وساطة بين النظام وأنقرة، للعمل على تطوير اتفاق أضنة لعام 1998، ليسمح للقوات التركية بالتوغل في الأراضي السورية بعمق 10 كيلومترات بدلاً من 5 كيلومترات.

هذه المستجدات الناتجة عن قرار الانسحاب خلقت قلاقل وخلافات داخل الإدارة الأميركية، وضغوطا على ترامب للتراجع عنها، لكنه رفض، في محاولة منه لتنفيذ وعوده الانتخابية وإرضاء ناخبيه بالانسحاب من سوريا، وبالتالي الخروج من أزمته الحالية.

لكن الضغوط دفعت الرئيس الأميركي إلى إرسال رسالة إلى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، عقب البدء بالهجوم على الأراضي السورية في 9 أكتوبر الجاري، هي أقرب إلى التوبيخ، وتفتقد إلى الرصانة الدبلوماسية، وهدد بعقوبات على وزراء الدفاع والداخلية والطاقة، وعلى وزارات الدفاع والطاقة، بينما مضت تركيا بعمليتها العسكرية، لإثبات إصرارها على فرض المنطقة الآمنة، وتأمين الحدود، وإعادة مليون لاجئ سوري في مرحلة أولى، ثم مليونين، بعد إنشاء بنية تحتية بكلفة 30 مليار دولار، تطلب من دول أوروبا الدعم للقيام بها.

هناك رغبة ودفع روسي لتركيا من أجل القيام بعملية عسكرية، لكسر الحظر الأميركي على القوات الروسية وقوات النظام من تجاوز نهر الفرات، وطمعاً منها بإعادة النظر في مذكرة "منع الصدام" بين الجيشين الروسي والأميركي في الأجواء السورية.

حيث تنظر موسكو إلى أنقرة كشريك اعتادت الاتفاق معه، إذ تتطلع إلى أن يكون الطريق الدولي أم4 على الحدود السورية التركية هو حد المنطقة التي يسمح فيها لقوات أنقرة بالتوغل داخل الأراضي السورية، وما يعني أيضاً أن يمتد ذلك الشريط إلى اللاذقية، وبالتالي دخول قوات النظام إلى جنوب إدلب.

التشدد في لهجة الرسالة التي وجهها ترامب إلى أردوغان يعني أن لا موافقة أميركية على العملية العسكرية التركية، وقد أرسل ترامب نائبه برفقة وزير خارجيته ومستشاره الأمني وجيمس جيفري المسؤول الأميركي عن الملف السوري إلى أنقرة، وبعد اجتماعات محمومة تم إصدار بيان، دون التوصل إلى قرارات، عدا وقفاً مؤقتاً لإطلاق النار لمدة خمسة أيام. وبالتالي تمكنت واشنطن من فرملة العملية العسكرية مؤقتاً، مع الطلب من قوات سوريا الديمقراطية بالانسحاب لعمق 32 كيلومتراً، ثم أن يعلن الأتراك انتهاء العملية، وأن تلغي واشنطن العقوبات المقررة على شخصيات تركية بموجب الأمر التنفيذي الصادر في 14 أكتوبر 2019.

> الضغوط دفعت الرئيس الأميركي إلى إرسال رسالة إلى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، عقب البدء بالهجوم على الأراضي السورية، هي أقرب إلى التوبيخ، وهدد بعقوبات على وزراء الدفاع والداخلية والطاقة، وعلى وزارات الدفاع والطاقة

يمكن وصف البيان ومهلة الأيام الخمسة بأنهما محاولة لإظهار حسن النوايا، لكن النتائج الفعلية باتت مرهونة بالاجتماع الثنائي في سوتشي بين الرئيسين فلاديمير بوتين وأردوغان في نهاية المهلة يوم الثلاثاء المقبل، والذي من المتوقع أن ينتج عنه اتفاق على ترتيب وضع المنطقة بما يرضي مطامح تركيا بتأمين حدودها الجنوبية خصوصاً، وبما يرضي الرغبة الروسية في تحقيق السيطرة على منابع النفط والغاز والثروات الزراعية شرق الفرات، وبما يفرض روسيا لاعباً أساسياً في اللعبة السورية، بعد الانسحاب الأميركي.

يصف منتقدو ترامب نتائج الاجتماع الأميركي- التركي، بأنها تقديم للتنازلات لأنقرة، ولروسيا وإيران أيضا. لكن قد تظهر الأيام المقبلة حجم التشاورات الأميركية الروسية بهذا الخصوص، والتي قد تتعلق بتقديم روسيا تنازلات عن ملفات خارج سوريا.

وهذا غير بعيد عن المساعي الإسرائيلية التي تدعم سيطرة النظام على شرق سوريا، شريطة منع دخول ميليشيات إيران إليها، تُضاف إليه رغبة عربية في ذلك، وعدم ممانعة أميركية، وموقف أوروبي ضعيف. في حين أن البيان يلمّح إلى مطمح أميركي باستعادة تركيا من الحضن الروسي، عبر التأكيد على بقائها في حلف الناتو، ما يعني احتمال تعطيل صفقات التسليح مع روسيا، والمضي بصفقة الباتريوت وتطوير طائرة أف-35.